إنجيل يهوذا يظهر بعد سبعة عشر قرنًا على اختفائه

الأب أيوب شهوان

أستاذ مادّة الكتاب المقدّس – جامعة الروح القدس – الكسليك

المقدّمــة

منذ بضع سنوات يحتلّ يهوذا الإسخريوطيُّ المسرحَ الإعلاميَّ العالميَّ بشكلٍ واسع، بعدما تمّ نشر ما اعتبره البعضُ أهمَّ الوثائق الأثريّة المكتشفة في الأعوام الستّينَ الأخيرة، عنيتُ به **إنجيل يهوذا**.

تمّ نشر المخطوط، فكان دفقٌ من الأسئلة والتساؤلات والمساءلات، وكان عرض وتعارضٌ واعتراضٌ وتعرّض، وكأنّي بالذي كان معه الكيس، وبصاحب القبلة المميتة، عاد من جديد يُسلِمُ الناس كما سَلَّمَ الربَّ إلى البلبلة والشكّ والقلق. وكان على أصحاب الدراية أن يحزموا أمرهم ويوضحوا الأمور، ويقولوا كلمةَ فصلٍ لا بدّ منها؛ فهل أسلم يهوذا يسوعَ المسيح ليُصْلَبَ، بعدما باعه بثلاثين من الفضّة، كما تفيد الأناجيل القانونيّة، أم كان رسولَه المفضَّلَ والعالِمَ بكلّ أسرارِ ملكوت الله، كما يدّعي إنجيل يهوذا؟ هل نحن أمام شخصيّة تاريخيّة خلع عليها الإنجيليّون ومَن جاء بعدَهم وشاحَ الخيانة الذي لن يُنزَعَ عنها إلى الأبد، أم أنّنا أمامَ عارفِ الحقيقة السماويّة دون سواه، وبالتالي أمام صاحبِ السهمِ الأعظمِ في خلاصِ البشريّة؟ لقد أدّى اكتشاف إنجيل يهوذا إلى البحث مجدَّدًا عن هويّة يهوذا الإسخريوطيّ، لكنّه سيبقى أبدًا بحسبِ النصوص الإنجيليّة العميلَ الذي خان الحبّ!

نحرّر هذه الأسطر حول إنجيل يهوذا، الموضوعِ القديم الجديد، ذي الدَوِيِّ الواسع حاليًّا، بهدف أن نُبيّنَ حقيقةَ المضمون وصحّة ما يقدّمه المخطوط من معلومات سارع الكثيرون إلى تلقّفها واعتبارها مُنْزَلةً ولا تقبل الجدل، علمًا أنّ معرفة الدافع إلى وضع هذا الإنجيل، وكشف هويّة التيار الفكريّ الدينيّ المخبوء فيه، وتحديد الظرف التاريخيّ الذي وُضِع فيه، سيجعل المغالين الآن والمتحمّسين له يعودون أدراجهم والجعبةُ مخذولة.

سنتطرّق في هذه العجالة إلى نصّ إنجيل يهوذا، فنعرض ما توفّر من معلومات حوله حتّى الآن، وإلى مضمونه العقائديّ الذي نقيّمه بالاستناد إلى المواقف التاريخيّة الأقدم التي اتخذها من كانت لهم معرفة الأمور على حقيقتها، وإلى بعض أصداء هذا الاكتشاف.

١ – مخطوط إنجيل يهوذا

١/١ – اكتشاف إنجيل يهوذا وترحاله

بعد أن اختفى **إنجيل يهوذا** لمدّة ١٧٠٠ سنة، اكتَشفَه قرويّ مصريٌّ، سنة ١٩٧٨، في أحد كهوف الصحراء قرب بني مزار، على مسافة ٢٤٠ كيلومترًا جنوب القاهرة، في محافظة المنْيَا، فباعه لأحد تجّار الآثار المصريّين، ويُدعَى حنّا العريان (قبطيّ)، الذي هرّبه وحفظه أكثر من ستّة عشر عامًا في إحدى خزائن مصرف أميركيّ في لونغ آيلند، قرب نيويورك، قبل أن يتمكّن من بيعه لتاجرة آثار سويسريّة، تُدعى فريدا نوسبرغر تشاكوس. وفي سنة ٢٠٠١ اشتراه ماريو جان روبرتي لـ«مؤسّسة ميسِنْسَ السويسريّة للآثار القديمة» (Maecenas Foundation for Ancient Art,

(Bâle, Suisse) التي يديرها، وأوكل دراستها إلى البروفسور رودولف كاسّر (Rudolf Kasser)، أستاذ القبطيّات في جامعة جنيف.

بعدما ذاع خبرُ المخطوط، تدخّلت مصر لاسترجاعه، وأعلن الأمين العامّ للمجلس الأعلى للآثار المصريّ زاهي حواس أنّه «تمّ الاتفاق مع الجمعيّة الوطنيّة الجغرافيّة الأميركيّة (ناشيونال جيوغرافيك) ومعهد «ويت» للاكتشافات الأثريّة على أن يبتاعَا المخطوطَ بمليونَي دولار أميركيّ تُدْفَع مناصفةً بينهما، ثمّ تَعمدان إلى ترميمه وترجمته، قبل أن يُعيداه إلى وطنه الأصليّ مصر. وفي الواقع، استعادت مصر المخطوط في آذار ٢٠٠٦.

٢/١ – وصف المخطوط وتاريخه

إنجيل يهوذا هو عبارةٌ عن مخطوطٍ من ورق البرديّ، معروم بجِلْد، عُثِرَ عليه في مغارة في صحراء مصر العليا في السبعينيّات. يتضمّن ٢٥ ورقة بحالة سيّئة جدًّا. تمّ التأكّد من أصالته بواسطة الكربون ١٤. المخطوط مكتوب في اللهجة القبطيّة، وهي اللغة القديمة لمسيحيّي مصر. تَمَّ ترميمه ثمّ ترجمته على يد البروفسور رودولف كَاسِّر المذكور.

نحن إذًا أمام نصّ مكتوب في اللهجة القبطيّة الصعيديّة. هو نسخة عن نصٍّ أقدم مكتوبٍ أصلاً في اليونانيّة، يناقض ما ورد في الأناجيل الأربعة القانونيّة حول يهوذا وحول دوره في تسليم يسوع إلى الموت. هو جزءٌ من برديّ مكوَّن من حوالى الستين ورقة (بين ٦٢ و٦٦، حسب المصادر)، وتُدعى «مُجَلَّد تشاكوس» (*Codex de Tchacos*)، نسبةً إلى السيّدة فْريدا نُوسْبِرْغِر تْشاكوس التي اشترته، والتي، عندما باءت بالفشل مساعيها لبيعه، تنازلت عنه في شباط سنة ٢٠٠١ إلى «مؤسسة ميسينس للفنّ القديم في بازيليا» من أجل الحفاظ عليه وترجمته، لأنّ قلقها عليه كان يزداد يومًا بعد يوم بسبب تردّي وضعه.

بالإضافة إلى **إنجيل يهوذا**، يتضمّن المجلّد أيضًا نصَّين آخرَين منحولَين، هما: **رسالة بطرس إلى فيليبس**، و**رؤيا يعقوب الأولى**، اللذان نجدهما أيضًا في مخطوطات نجع حمّادي (*Nag Hammadi*).

يرقى هذا المخطوطُ القبطيّ إلى القرن الثالث أو الرابع ب. م. هو نقلٌ عن نصٍّ يونانيّ[(١)] مفقود، وُضِعَ بين العامَين ١٣٠ و١٨٠. يمكن تأكيد ذلك من كون القدّيس إيريناوس، أسقف مدينة ليون (حوالى سنة ١٨٠)، عاصمة بلاد الغال الرومانيّة في فرنسا، قد عرفه وشجبه في مؤلَّفه الشهير، **ضدّ الهرطقات**، حوالى منتصف القرن الثاني؛ كما ذكره لاحقًا القدّيس أبّيفانوس أسقف قبرص في القرن الرابع.

٣/١ – وضع المخطوط

إنجيل يهوذا المخطوط على ورق البرديّ، هو مهترئ ومشوَّه جدًّا، وغير كامل، لأنّ الأجزاء العليا من الصفحات ممزَّقة. يقول البروفسور كاسِّر، المسؤول عن ترجمة المخطوط، إنّه لم يَرَ قطُّ من قبلُ مخطوطًا في وضع سيّء كهذا؛ فهناك صفحات ناقصة، وأخرى مركّبة من جديد، والنصف الأعلى الذي يحوي أرقام الصفحات هو مبتور. إضافة إلى ذلك، هناك على الأقل حوالى الألف فُتاتة يجري العمل على جمعها. المخطوط سريع العطب جدًّا، إلى حدّ أنّ مجرّد لمسه يُعرّضه لتفتّت إضافيّ، كما يقول كاسّر عن الـ٢٦ صفحة المكتوبة على ١٣ ورقة من البرديّ، على الوجه والظَهر.

٤/١ – معالجة المخطوط ونشره

رمّم المخطوط وترجمه البروفسور رودولف كَاسِّر، ونشرته مجلّة **نايشونال جيوغرافك** الأميركيّة (*The National Geographic*) في واشنطن في ٥ نيسان ٢٠٠٦.

بعد عملٍ مُضنٍ دام خمس سنوات، نجح الخبراء في

(١) نذكر أنّ اليونانيّة كانت لغةَ الحقبةِ الهلّينيّة بالنسبة إلى الجماعات اليهوديّة والمسيحيّة، كما أيضًا بالنسبة إلى غيرها، خاصّة في الإسكندرية.

جمع حوالى الثمانين بالمئة من النصّ. في شباط ٢٠٠٦ ظهر من جديد في نيويورك نصف صفحة كانت ناقصة، فتمّ تصويرها، وإضافتها إلى النصّ وترجمتها.

كما كان ماريو روبرتي يأمل، نَشَرت جمعيّة **نايشونال جيوغرافك** في واشنطن، بتاريخ ٥ نيسان ٢٠٠٦، وفي الإنجليزيّة، **إنجيل يهوذا** (*The Gospel of Judas*). نشير هنا إلى أنّ الأخصّائيّين قد تمكّنوا حتّى الآن من قراءة معظم أجزاء المخطوط، خاصّةً بفضل جهود البروفسور الأميركيّ تشارلز هِدْرِيك (Charles W. Hedrick).

من أجل إعادة جَمع «الفُتات الأكثر تعقيدًا في التاريخ»، تلقّى البروفسور كَاسِّر في مهمّته دَعْمَ حافظ هذا البَرديّ، فلورانس دَارْبر (Florence Darbre)، والخبير في اللهجة القبطيّة، غريغور فُورست (Gregor Wurst)، من جامعة أوغسبورغ (ألمانيا). أُعيد المخطوط، المدعوّ «كودكس تشاكوس (*Codex Tchacos*)، إلى مصر، حيث يُحفَظ في المتحف القبطيّ في القاهرة. وخصّصت مجلّة **نايشونال جيوغرافك** موضوعًا طويلاً عنه في إصدار شهر أيار ٢٠٠٦، كما أنّها افتتحت معرضًا عنه في ٧ نيسان ٢٠٠٦، في مقرّها في واشنطن حيث تمكّن الزائرون من رؤية بعض صفحات من المخطوط. وقد قدّمت المجلّة أيضًا، بالاشتراك مع مؤسسة **ميسنس** (Maecenas)، في الولايات المتحدة الأميركيّة، فيلمًا وثائقيًّا عنه، مدّته ساعتان، على القناة التلفزيونيّة *National Geographic*، يوم الأحد ٩ نيسان ٢٠٠٦.

١/٥ – دراسة أولى للنصّ

درس الباحثون أسلوب إنجيل يهوذا اللغويّ المكتوب باللهجة القبطيّة الصعيديّة، وحلّلوا مضمونه، فتبيّنوا أنّ النظريات اللاهوتيّة والمعطيات اللغويّة التي يضمّها بين جنباته تعكس ما تمّ اكتشافه في مكتبة نَجْع حمّادي (*Nag Hammadi*)، التي هي كناية عن مجموعة نصوص تمّ اكتشافها في مصر سنة ١٩٤٥، وترقى هي أيضًا إلى القرون الأولى للمسيحيّة. تَوافَقَ مارفين ماير (Marvin Meyer)، أستاذ الدراسات البيبليّة والمسيحيّة في جامعة تشابمان (Chapman) في كاليفورنيا، وسْطفان إمّيل (Stephan Emmil)، أستاذ الدروس القبطيّة في جامعة مُونْسْتِر (Munster) في ألمانيا، على أنّ المجلَّد يعكس النظرة الغنّوصيّة التي كانت سائدة في القرن الثاني ب. م.، وهي المرحلة التي فيها كُتبَ النصُّ اليونانيّ الأصليّ لإنجيل يهوذا، والذي تُرجم لاحقًا إلى القبطيّة.

٢ – مضمون إنجيل يهوذا

يتكوّن إنجيلُ يهوذا من ثلاثة مشاهد، موزّعة على الوجه التالي:

– المشهد الأوّل، يتضمّن ثلاث فقرات؛

– المشهد الثاني يتضمّن أربع فقرات؛

– المشهد الثالث والأخير يتضمّن تسع فقرات.

يبدأ المشهد الأوّل بحوار المسيح مع تلاميذه في اليهوديّة، وينتهي المشهد الثالث والأخير بخيانة يهوذا وتسليمه المسيح إلى اليهود، واستلامه بعض المال مقابل ذلك.

١/٢ – رَذْلُ إنجيل يهوذا من لائحة الكتب المقدّسة القانونيّة

لا بدّ، أوّلاً، من توضيح مسألة قانونيّة الكتبِ المقدّسة، مقابل كتبٍ أخرى مماثلة رذلَتْها الكنيسة، إذ اعتبرتها منحولة، وبالتالي ليست كتبًا قانونية، علمًا أنّ الكنيسة حاليًّا تولي هذه الأخيرة اهتمامًا كبيرًا، لأنّها ترى فيها نتاجًا أدبيًّا قيّمًا يعكس طريقة تفكير معيّنة من تاريخ المسيحيّة.

نوضح، ثانيًا، أنّ كلمة «قانون»، المستعملة لتحديد الكتب المقدّسة ولرَذْلِ أخرى، هي من اليونانيّة κανων، مصدرها الكلمة العبريّة קנה («قَ نَ هْ») التي تعني «قصبة»، «مقياس»، «عصا»، وتدلّ في الديانات على مجموع النصوص التي تُعتبر مقدّسة ومنظِّمة للعبادة. تتبدّل لائحة

الكتب القانونيّة المعتمدة، وَفقَ «القانون» الذي اعتمده اليهود بالنسبة إلى العهد القديم، وتقبل به أو تعدّله هذه أو تلك من الكنائس، فيتراوح عددها بالتالي ما بين ٦٦ و٧٣ كتابًا. ونشير إلى أنّ تاريخ تثبيت القانون طويل ومعقّد؛ فحوالى السنة ٢٠٠ ب. م. برزت، على سبيل المثال، فكرة وضع جدول للكتب التي تكوّن العهد الجديد. لم يشغل إقفال هذه اللائحة المسيحيّين إلا بدءًا من القرن الرابع؛ فأمام انتشار الكتب، وبلا ضوابط، وضع أثناسيوس، أسقف الإسكندريّة، سنة ٣٦٧، لائحةَ كتبِ العهدِ الجديد، وتمّ التصديق عليها في مجمع هيبّون (Hippone) سنة ٣٩٣، ثمّ في مجمع أنطاكيا سنة ٣٩٧، فتمّ الاحتفاظ بأربعة أناجيل وبنصوص أخرى، هي: أعمال الرسل، ورسائل بولس، والرسائل الكاثوليكيّة، وسفر الرؤيا.

ونلاحظ أنّ إنجيل يهوذا لا يتضمّن سوى حادثتين متشابهتين مع الأناجيل القانونيّة، لكن فقط في عنوانهما، ألا وهما: رواية التجربة، ورواية تسليم يهوذا للمسيح.

كما نَعْلَم، إنّ اللقب المفضّل للمسيح هو «ابن الإنسان»، وهو الأكثر استخدامًا في الأناجيل، لكن لا ذِكْرَ له في إنجيل يهوذا.

أخيرًا لا آخرًا، في إنجيل يهوذا لا يَرِدُ ذِكْرُ أيّ تلميذ باسمه باستثناء يهوذا؛ فنحن نجد فقط عبارات مثل: «يدعو تلاميذه»، و«يعلّم تلاميذه»، و«يتراءى لتلاميذه»، ودائمًا دون ذكر أسمائهم.

ممّا تقدّم نستنتج بعَضًا من أسباب رذْل إنجيل يهوذا وعدم إدراجه بين الأناجيل القانونيّة، وشجْب آباء الكنيسة الذين عرفوه له ولمضمونه.

٢/٢ – إنجيل يهوذا والغنوصيّة [٢]

لماذا التأكيد على أنّ إنجيل يهوذا هو غنوصيّ ؟ قبل الجواب على هذا السؤال لا بدّ لنا من أن نوضح أنّ الغنوصيّة هي تيّار فكريّ اتّخذ أشكالاً متنوّعة، وتتضمّن عدّة شِيَع أو تيّارات؛ فهي أوّلاً فلسفة باطنيّة، يتمّ الخلاصَ فيها عبرَ التنشئة على الأسرار الخفيّة. إنّها أيضًا نظريّة ثنائيّة تضع الروحَ في مقابل المادّة التي تُعتَبَرُ سيّئة، وهكذا، مثلاً، تكون النفْسُ أسيرةَ الجسدِ كما في سجن.

بالنسبة إلى الغنّوصيّة، يخفي اللهَ الحقيقيَّ عن عيونِ الناسِ إلهٌ أدنى، هو خالقُ العالَم، إلهُ الكتاب المقدّس. لذا ترذلُ الغنّوصيّةُ إلهَ العهد القديم وتعتبره خالقًا شيطانيًّا، مسؤولاً عن كلّ النقائص في العالَم، لذلك فإنَّ العالَم المخلوق هو مُصابٌ بالشرِّ والظلماتِ والخطيئة. أمّا يسوع فهو بالنسبة إلى الغنّوصيّة معلّم روحانيٌّ مكلَّفٌ بأنْ يقود الناسَ نحو معرفة الله الحقّ الخفيّ.

ظهرت الحركة الغنّوصيّة حوالى سنة ٧٠ ب. م.، وواصلتْ نُمُوَّها حتّى القرن الرابع. بعد سنة ٣١٣، التاريخ الذي فيه أصبحت الديانة المسيحيّة شرعيّةً في الأمبراطوريّة الرومانيّة، رَذَلَتِ الكنيسةُ النصوصَ الغنّوصيّةَ، مستبعدةً إيّاها من قانون الكتاب المقدّس، كما فعلت بالنسبة إلى الكتب المدعوّة «منحولة». اختفى العديد من مخطوطات هذه النصوص شيئًا فشيئًا. وفي ٢٠ أيار من سنة ٣٢٥، دعا قسطنطين الأوّل، الأمبراطور الرومانيّ المسيحيّ، الذي كان يخشى أن يحصل انقسام في الكنيسة، إلى عقد أوّل مجمع مسكونيّ في مدينة نيقيا (تركيا الحاليّة)، حيث تقرّر أنّ الأناجيل هي فقط أربعة، متّى، ومرقس، ولوقا، ويوحنّا، وهي وحدها تنقل تعليم المسيح. هناك بالمقابل أقلّه ١٤ عشر إنجيلاً منحولاً غير معترف بها.

لا يخصّ التيّارُ الغنوصيُّ المسيحيّة وحدها؛ فلقد تَشَبَّعَ بالفكر الأفلاطونيّ الذي يرفض كلَّ ما هو مادّيّ، ومَزَجَهُ ببعض مفاهيم مسيحيّة استلّها من الإنجيل. وللفكر الغنوصيّ نظرةٌ كونيّةٌ، يؤكّد من خلالها أنّ هناك إلهًا خفيًّا خالقًا لغالبيّة

(٢) Marc LEROY (École biblique de Jérusalem), «L'évangile de Judas révèle surtout la pensée gnostique» : http://www.inxl6.org/article2934.php

البشر، باستثناء الغنوصيّين، أي العارفين؛ فهؤلاء، وهم قلّة، يعرفون الإلهَ الحقّ، أمّا عامّةُ الناس فيعبدون إمّا الإلهَ الشرّيرَ، وإمّا الإلهَ نصفَ الخالق. بنظر الغنوصيّة كلُّ ما هو جسدانيٌّ شرّير، ويجبُ أن يضحيَ كلُّ شيءٍ روحانيًّا ليبلغَ إلى الكمال، بالتالي يضحي الزواجُ والعلاقةُ الجنسيّةُ عملَين شرّيرَين.

كان الغنوصيّون إذًا، أي العارفون بالله، يشكّلون في الواقع مذاهب منحرفة، تمّ التعرّف إليها أكثر فأكثر على أثر اكتشاف مخطوطات نجع حمادى (مصر). كانوا يرفضون فكرة التجسّد، أي أنّ الله صار جسدًا، أو «لحمًا» [٣]، وكانوا يعلّمون أنّ الذى صُلبَ لم يكن المسيح بل كان شبيهًا له؛ لذلك قاومت كنيسةُ القرون الأولى الفكرَ الغنوصيّ ورذلتْ أفكارَهم ومبادئهم وكتبَهم.

٣/٢ – إنجيل يهوذا وشيعة القايِنيّين الغنوصيّين

لا بدّ من التعريف، ولو سريعًا، بـ«شيعة القايِنيّين» [٤] لارتباطها بموضوعنا.

ينتمي إنجيل يهوذا إلى تقليدٍ أدبيٍّ كان منتشرًا في مصر بنوعٍ خاصّ أيّام الرومان، ويوصف بأنّه غنوصيّ. كانت الغنوصيّةُ، التي تستلهم الأفلاطونيّةَ في الغالب، تبدي احتقارًا واضحًا تجاه اليهود، كما أيضًا تجاه يهوه و«الخالق». بالنسبة إلى القايِنيّين، وحده يهوذا كان يعرف سرَّ خلقِ الناس، لذلك أسلم المسيحَ إلى أعدائه، وبهذا أسدى خدمة كبيرة للبشريّة، لأنّ المسيح كان يريد أن يصالح الناس مع الله الخالق، في حين كان ينبغي، وعلى العكس، تسميم بغض الناس ضدّ هذا الأخير. وإذا كان على موت يسوع أن يؤمّن خيرات عظيمة للعالم، فإنّ يهوذا يكون قد قام بعمل جيّد من خلال تعجيله ذلك.

كانت عدّة شيع سابقة للقايِنيّة قد فسّرت أصل الخير والشرّ عن طريق افتراض فَهْم خَيِّرٍ كان يستخرج من حشاه أرواحًا سعيدة وبريئة، وفَهْم مُسيءٍ كان يحبس هذه الأرواح في أعضاء مادّيّة. ولكن منْ أين يأتي الاختلاف بين الأرواح وبين الطبائع ؟ بقي هذا الاختلاف لغزًا، عندما برز، بين تبّاع المبدأين، مَن أخذ على عاتقه إعطاء هذا التفسير. استنادًا إليه، أنتج المبدأان آدمَ وحوّاءَ؛ وإذ توشّح كلٌّ منهما بجسد، صار بينهما وبين حوّاء اتصالٌ نتج عنه أولادٌ كان لهم طابعُ القدرة التي كانت علّةَ حياتهم. بهذه الوسيلة كان يُفهم الاختلاف بين طَبْعَي قايين وهابيل، وبين طبائع كلّ الناس. وإذ كان هابيل خاضعًا جدًّا لله خالق الأرض، نُظر إليه على أنّه عَمَلُ إله كانوا يدعونه هِسْتير (Histère). بالمقابل، كان قايين، قاتلُ هابيل، عَمَلَ الحكمة والمبدأ الأسمى؛ لذا كان ينبغي أن يُكرَّم على اعتبار أنّه أوّل الحكماء.

كان تبّاع هذه العقيدة، وانسجامًا مع أنفسهم، يكرّمون كلَّ الذين كان العهد القديم قد شجبهم، أي: قايين، وقورح، وأهل سدوم؛ كانوا ينظرون إلى هؤلاء على أنّهم أبناء الحكمة، وأعداء المبدأ الخالق. في كتبهم المقدّسة، كـ**إنجيل يهوذا**، ورواية **صعود القدّيس بولس**، أدخل القايِنيّون أشياءَ رهيبة، كادّعائهم، مثلاً، أنّ الكمال يقوم على اقتراف أكثر ما يمكن من النجاسات.

– استنادًا إلى **إيريناوس**، قد يكون إنجيل يهوذا المؤلَّفَ الرئيسيَّ لشيعة تدعى «القايِنيّين» (أي وَرَثَة قايين)، أو حتّى قانونَ إيمانها. المعلومات المتوفّرة حولها هي أنّ القايِنيّين هم أعضاء شيعة ظهرت حوالى سنة ١٥٩ ب. م.، كانوا يكرمون قايين والسَدوميّين (أي أهل سَدوم)، وكانوا يمتلكون إنجيل يهوذا الذي نحن بصدده، حيث يبدو يهوذا كمُنشَّأ غنوصيّ يخون يسوعَ بطلبٍ من هذا الأخير، وذلك ليضمن افتداءَ البشريّة.

(٣) بولس الفغالي، «الغنوصيّة والغنوصيّة المسيحيّة»، في: **الحركة الغنوصيّة في أفكارها ووثائقها**، على هامش الكتاب ١٥، الرابطة الكتابيّة ٢٠٠٩، ص ٩–٤٥.

(٤) بولس الفغالي، «القينيّون»، في: **الحركة الغنوصيّة في أفكارها ووثائقها**، على هامش الكتاب ١٥، الرابطة الكتابيّة ٢٠٠٩، ص ٢٩–٣٢.

– ويؤكّد **أبيفانوس** أنّ إنجيل يهوذا هو جزء من كتب شيعة القايينيّين الغنوصيّة [٥]، الذين كانوا يكرمون يسوع، ويمدحونه ويُعجَبون به، على اعتباره أعظم أبناء قايين.

– استنادًا إلى **تيودوريتوس** († حوالى ٤٥٣/٤٥٨)، كان القايينيّون يؤكّدون على أنّ كلاً من الأعمال المشينة له ملاكه الوصيّ، فكانوا يدعون الملاكَ وهم يقترفون هذه الأعمال. أتَت امرأةٌ من هذه الشيعة، اسمها كُوِنْتيل (Quintille)، إلى أفريقيا أيّام ترتوليانوس (١٥٥–٢٢٥)، وجمعت كثيرًا من الأتباع إليها، واتّخذوا اسم «الكُوِنْتيليانيّين» (quintillianistes). يُشير ترتوليانوس إلى أنّ كُوِنتيل هذه قد أضافت إلى نجاسات القايينيّين ممارساتٍ مُشينةً أخرى.

٤/٢ – يهوذا «العارف»

يزعم إنجيلُ يهوذا أنَّ يهوذا كان «عارفًا»، أي «غنوصيًّا»، وهذا ما يبرّر قَوْلَ المسيح له: «أنتَ ستسمو عليهم (أي على بقيّة الرسل) جميعًا، لأنَّكَ ستُضَحِّي بالرَّجُل الذي اتخذتَ هيئتَه». نتبيّن من خلال هذا الإعلان الطابعَ الغنوصيَّ لإنجيل يهوذا، الذي يتعارض تمامًا مع الأناجيل القانونيّة. هكذا يكون يهوذا قد أسلم المسيحَ عن حُسْن نيّة، وتنفيذًا لمشروع الله، في حين تؤكّد الأناجيلُ القانونيّةُ أنّ يهوذا أسلم المسيحَ، إمّا عن خيانة وعن حبٍّ للمال، وإمّا لأنّ أملَه في المسيح كان قد خاب بالقيام بثورة وعصيان من أجل القضاء على الحكم الرومانيّ.

لقد اختار واضعُ هذا الإنجيل شخصَ يهوذا بالذات لأنّ الغنوصيّين قالوا بأنّ هناك سرًّا في تسليم يهوذا ليسوع، وهذا السرّ يندرج في المشروع الإلهيّ الذي يقضي بأن يموت المسيحُ لكي يَفدِيَ العالم. وبما أنّ هذه الفكرة مسيحيّةٌ في الأساس، فإنّ يهوذا لم يكن بالتالي خائنًا، إنّما «عارفًا»، ولم يتصرّف إلاّ بالاستناد إلى معرفته بالسرّ الإلهيّ. هكذا يُضحي إنجيل يهوذا إنجيلَ من هم كيهوذا «عارفون»، والأناجيل الأربعةُ القانونيّةُ أناجيلَ العامّة التي لا تَفهم.

٥/٢ – إنجيل يهوذا والمهمّة الخطيرة الموكلة إلى يهوذا

يعطي النصُّ عَرْضًا للعلاقة بين يسوع ويهوذا، تختلف جدًّا عن تلك التي يُفيد عنها العهدُ الجديد، خاصّةً في الأناجيل الأربعة؛ فهو لا يُبرِزُ يهوذا كخائن، بل كالرّسول الأقرب إلى يسوع، والوحيد الذي يُحتَمَل أن يكون قد فَهِمَ عظمةَ هذا الأخير ورسالتَه.

يكشف يسوعُ اللهَ الحقيقيَّ الصالحَ، الذي يريد أن يخلِّص العالم، ممّا يعني أنّ ذبيحة يسوع ضروريّة لتحقيق هذا الهدف، وهذا ما يفسّر طلبَ يسوع إلى يهوذا أن يُسلمه.

تبدأ الرواية بالإخبار عن انضمام يسوع إلى تلاميذه فيما هم يُعدّون الفصح، وإعلانه لهم أنْ لا فائدةَ من الفصح، الأمر الذي فَهِمَه يهوذا، أمّا الرسل الباقون فلا. إثر ذلك طلب يسوع من يهوذا أن يُسلمه. يتضمّن النصُّ محادثةً طويلةً بين يسوع ويهوذا، تنتهي باللقاء بين الاثنين عندما أتوا ليلقوا القبض عليه.

لقد اختار يسوعُ يهوذا ليُتمّمَ مصيرَه، وليحرّره من لباسه الأرضيّ. المقطع الرئيسيّ من النصّ منسوبٌ إلى يسوع الذي يقول فيه ليهوذا ما يلي: «ستتخطّاهم جميعًا؛ ستضحّي بالإنسان الذي يَلْبَسُني». يعني هذا القولُ أنّ يهوذا سيُسهم في تحرير روح يسوعَ، فيساعده على التخلّص من غشائه الجسديّ عَبْرَ تسليمه إلى الموت.

يُستَهَلّ إنجيلُ يهوذا بعنوان ذي مدلول قويّ: «الرواية السرّيّة للأمر الذي كشفه يسوع ليهوذا الإسخريوطيّ خلال أسبوع، ثلاثةَ أيّام قبل الاحتفال بالفصح». ينتج عن ذلك موضوعات يرى البحّاثةُ أنّها تتوافق تمامًا مع التقاليد الغنوصيّة.

في المشهد الأوّل، يضحك يسوع من تلاميذه الذين

[٥] ÉPIPHANE de Salamine, *Panarion* 1,31.

يصلّون إلى إلههم، الإله الصغير، أي إله العهد القديم الذي خلق العالم، ويحثّهم على أن ينظروا إليه ويفهموا مَن هو حقًّا، لكنّ هؤلاء لم يفعلوا. ونصل إلى المقطع الأساسيّ حيث يقول يسوع ليهوذا: «أنت ستتفوّق عليهم كلّهم، لأنّك ستقوم بما يؤدّي إلى أن يُضَحَّى بالإنسان الذي أنا حالٌّ فيه». بمساعدة يهوذا ليسوع على أن يتحرّر من جسده الأرضيّ، يساعده بذات الفعل على أن يحرّر كيانه الروحانيّ، أي جوهره الإلهيّ. يوصف وضع يهوذا عدّة مرّات بأنّه خاصّ؛ يقول له يسوع، مثلاً: «تباعدْ عن الآخَرين فأكشف لك أسرارَ الملكوت، ملكوتٍ ستبلغه، لكن بآلام كثيرة». أو أيضًا: «قلتُ لك كلَّ شيء. إفتح عينيك، وانظر الغمامَ والنورَ الذي ينبثق منه، والكواكبَ التي تحيط به. النجم الذي يدلّ على الطريق هو نجمك أنت».

يبيّن النصّ أيضًا أنّ يهوذا سيكون محتقَرًا من قِبل باقي الرسل، ولكنه سيتفوّق عليهم. ويقول له يسوع أيضًا: «ستكون ملعونًا من قِبل الأجيال، لكنّك ستملك عليها». وكانت ليهوذا من ثمّ رؤيا عارضَهُ فيها باقي الرسل، فيقول: «في الرؤيا رأيت ذاتي، بينما كان الاثنا عشر يرشقونني بالحصى ويضطهدونني».

وهناك مقطع من إنجيل يهوذا يبدو أنّه يشير إلى رؤيا حصلت ليهوذا حيث نقرأ: «فتح يهوذا عينيه، فرأى الغمام المضيء، ودخل فيه». سمع الناس على الأرض صوتًا آتيًا من السحاب، لكنّ ما قاله قد يبقى لغزًا، لأنّ قسمًا من المخطوط ناقص. ينقطع النصّ بشكل مفاجئ: «اقترب هؤلاء (الذين كانوا قد أتوا ليقبضوا عليه) من يهوذا وقالوا له: ماذا تفعل هنا؟ هل أنت تلميذٌ ليسوع؟ أعطاهم يهوذا الجواب الذي كانوا يريدون، وتلقّى منهم مالاً، وأسلمه إليهم».

وجهة نظر الباحثين هي أنّ هذه الرؤيا البديلة عن العلاقة بين يسوع ويهوذا هي مَثَلٌ هامّ عن عقليّة المسيحيّين الأوائل، وتقدّم براهين جديدة هامّة عن تنوّع الكنيسة الأولى.

نشير إلى أنّ النصّ لا يأتي على ذكر الصلب والقيامة.

كيف ينبغي أن يُفهَمَ قول يسوع ليهوذا: «ستُضحّي بالإنسان الذي هو بمثابة لباسٍ لي»؟ الأمر واضح: إنّه نموذج النظرة الغنوصيّة! في الواقع، يسعى الغنوصيّون في إثر طريقة تحرير طاقتهم الحيويّة من الجسد المادّيّ الذي تكون فيه النفس سجينة. هكذا يكون يهوذا قد تمّم الإرادة الإلهيّة من خلال تسليمه يسوع.

يُبرز النصُّ يهوذا إذًا كمُدرِكٍ متفوّقٍ على باقي الرسل. كان يعلم أن لا غنى عن ذبيحة يسوع في افتداء العالم. ولأنّه كان تلميذَ يسوعَ الأحبَّ، كان عليه بالتالي أن يقوم بإحدى المهمّات الأصعب، ألا وهي تنفيذ طلب يسوع، أي تسليمه كي يكون ذبيحة. لقد أعطى يسوعُ يهوذا على حِدَة التعليمات التي قضت بأن يسلمه إلى السلطات الرومانيّة؛ يمكن هكذا تفسير قول يسوع له، بحسب ما جاء في يوحنّا: «ما أنت فاعله، إفعله سريعًا» (يو ١٣: ٢٧).

٦/٢ – خيانة يهوذا في الأناجيل القانونيّة

يُفسِّر إنجيلُ يهوذا إذًا «خيانة» يهوذا ليسوع بطريقة مختلفة جدًّا عمّا في الأناجيل القانونيّة. لكن، استنادًا إلى رودولف كَاسِّر، الذي رمّم نصَّ إنجيل يهوذا وتَرجَمَه، لا يُعطي إنجيلُ يهوذا أيّةَ معلومة تاريخيّة جديدة حول يهوذا؛ إنّه تفسيرٌ غنوصيٌّ متأخّرٌ عن الأحداث التاريخيّة المتعلّقة بهذا الأخير.

استنادًا إلى الأناجيل الإزائيّة وإلى الإنجيل بحسب يوحنّا، قد يكون البخلُ والمَسُّ الشيطانيُّ الدافعَين إلى خيانة يهوذا، كما نتبيّن ممّا نقرأه عن هذه الخيانة في:

– **مت** ٢٦: ٢٠–٢٥: الإعلان عن خيانة يهوذا.

– **لو** ٢٢: ٤٧–٤٨ : قبلة يهوذا وتوقيف يسوع .

– **يو** ١٣: ٢، ٢١–٣٠: الإعلان عن خيانة يهوذا.

بإمكان القارىء اللبيب أن يستنتج من قراءة هذه الآيات، بعد مقارنتها مع ما ورد في إنجيل يهوذا، حقيقة مسألة خيانة يهوذا.

٧/٢ – يهوذا في الأناجيل القانونيّة وفي إنجيل يهوذا

أ – في الأناجيل القانونيّة

– قال يسوع عن يهوذا: «أليس أنّي أنا اخترتكم الاثني عشر، وواحد منكم شيطان» (يو ٦ : ٧٠). ويعلّق يوحنّا على هذا قائلاً: «قال هذا عن يهوذا بنِ سمعانَ الإسخريوطيّ، لأنّه كان مزمعًا أن يسلمه، وهو واحد من الاثني عشر» (يو ٦ : ٧١).

– وكان يهوذا مسؤولاً عن الصندوق، وظهرت فيه صفاتُ الطمع مرّات عدّة؛ فعندما دهنت مريم قدمَي يسوع بالطيب قال: «لماذا لم يُبَع هذا الطيبُ بثلاثمائة دينار ويعطَى للفقراء؟ قال هذا ليس لأنّه كان يبالي بالفقراء، بل لأنّه كان سارقًا، وكان الصندوق عنده، وكان يحمل ما يُلقَى فيه» (يو ١٢: ٥، ٦).

– في النهاية ذهب إلى رؤساء الكهنة، واتّفق معهم على أن يسلم لهم يسوع مقابل ثلاثين من الفضة. وعندما رأى أنّ يسوع قد دِين، مضى وشنق نفسه.

ب – في إنجيل يهوذا

- **يهوذا هو الإنسان الكامل:** «قال المسيح: فليأتِ أيُّ واحدٍ منكم، هو **قويٌّ** بما يكفي للخروج بين الناس. ليخرجْ من بينكم الإنسانُ الكامل، ويقفْ أمامَ وجهي. فقالوا جميعًا: نحن نملك القوّة. لكنّ أرواحَهم لم تجرؤْ على الوقوف في مواجهته، كلُّهم ما عدا يهوذا الإسخريوطيّ، قدر على أن يقف أمامه، لكنّه لم يقدر أن ينظر في عينيه، وأدار وجهه بعيدًا».

- **له باح المسيح بسر الملكوت:** «قال له يسوع: إبتعد عن الآخَرين، وسأخبرك بأسرار الملكوت. من الممكن لك أن تصلَ إليه، لكنّك ستعاني معاناةً عظيمة، ولا أحد يأخذ مكانك. وهل تدرون ما هي أسرار الملكوت؟ لقد حلم يهوذا حلمًا، وقَصَّهُ على المسيح، فقال: رأيت نفسي والاثنى عشر تلميذًا يحيطون بي ويعذّبونني بقسوة، وجئت إلى مكان...، رأيت بيتًا، ولم تقدر عيناي على أن تعرف حجمه، فقال له المسيح: إنّه جدير بأن يدخل إلى البيت الذي رأيتَه، لأنّ هذا المكان محفوظ للمقدّس. والمقدّس يبقى هناك دائمًا في الأعالي الخالدة مع الملائكة المقدّسة. أنظر لقد شرحت لك أسرار الملكوت وعلّمتك خطيئة النجوم، وأرسلتها إلى الأيونات الاثنتي عشرة».

- **يهوذا هو أبعد ما يكون عن الشرّ:** يقول جريج إيفانز، أستاذ الأديان وأحد الذين شاركوا في تحقيق المخطوطة، إنّ هذا الإنجيل الجديد يصوّر ما «فعله يهوذا على أنّه أبعد ما يكون عن الشرّ، بل على أنّه أعظم ما كان بوسع يهوذا أن يقدّمه للمسيح. إنّ الفكرة في هذا الإنجيل هي أنّ المسيح كان مثلنا تمامًا، كان روحًا محبوسة في جسد مادّيّ، وأنّ الخلاص لا يأتي إلاّ عندما نتحرّر من تلك الكينونة المادّيّة. هو يهوذا الذي سمح ليسوع بالتخلّص من الصورة المادّيّة عندما ساعده في قتل الجسد».

- **هو الذي يسود:** «قال له يسوع: ستكون أنت الثالثَ عشر، وستلعنك الأجيالُ الأخرى، وستأتي لتسودَهم جميعًا. في نهاية الأيّام سوف يلعنون نجمك».

يقول إنجيل يهوذا إنّ يهوذا قام بتسليم المسيح بناء على طلب من المسيح نفسه ليتمّ صلبه. ربّما تأثّر كاتب هذا الإنجيل بقول المسيح ليهوذا في مت ٢٦: ٥٠: «يا صاح، لماذا جئت؟». كذلك القول الوارد في يو ١٣: ٢٧: «ما أنت فاعلُه إفعله بأكثر سرعة»؛ فاعتبر أنّ المسيح كان مصادقًا وموافقًا على ما يفعله يهوذا، غير أنّ هذا الزعمَ لا يؤثّر في حقيقة صلب المسيح، وأنّ صلبَه كان لغفران خطايانا وخلاصنا.

ومثل بقيّة الكتب المنحولة والتي وُضعت ابتداء من منتصف القرن الثاني، يدّعي إنجيل يهوذا أنّه إنجيل سرّيّ، وإعلانٌ خاصٌّ خَصَّ به المسيحُ يهوذا وحدَه، وهذا ما جاء في معظم الكتب التي كتبت في تلك الفترة. كما يتكلّم عن المسيح كروحٍ ولاهوتٍ فقط، كان يظهر في أشكالٍ متنوّعة،

وليس في شكلٍ واحد، وأنّه ظهر فجأةً على الأرض بدون أيّة تفصيلات تخصّ الميلادَ أو التجسّدَ... كما يصوِّر يهوذا بالإنسان الكامل المتفوّق على الجميع، والقادر على أن يقف أمام المسيح ليؤكّد أنّه الكامل.

- كما نجد في هذا الإنجيل المزعوم أنّ **يهوذا هو الأقرب إلى المسيح** الذي يعلن له كلّ أسرار الملكوت.

- **يهوذا يأخذ الأَيُون** (رقم ١٣)، أي الإله، وهو لفظ غنوصيّ يتكلّم عن كائن روحيّ سماويّ ينبثق عن الله.

ممّا تقدّم نستنتج بأنّ لغة هذا الكتاب ومبادئه هي بالتالي غريبة عن لغة الأناجيل وعن مبادئه، وأنّه يحتوي على فكر غنوصيّ واضح المعالم.

– **في الأناجيل القانونيّة مات يهوذا انتحارًا، بخلاف إنجيل يهوذا؛** فاستنادًا إلى نصوص العهد الجديد، هناك روايتان حول موت يهوذا: في **إنجيل متّى** (٢٧: ٣–١٠)، ندم يهوذا، وشنق نفسه بعد أن ردّ الفضّة إلى عظيم الكهنة؛ وفي **أعمال الرسل** (١: ١٦–١٩)، يروي بطرس أنّ يهوذا، الذي اقتنى حقلاً بأجرة إثمه، قد سقط ورأسُه إلى أسفل، وانشقّ من الوسط، واندلقت أمعاؤه. أمّا **إنجيل يهوذا** فلا يقول بأنّ يهوذا انتحر، وذلك خلافًا لما ورد في إنجيل متّى وفي أعمال الرسل.

٣ – موقف الكنيسة من إنجيل يهوذا

منذ البدايات واجهت الكنيسة معضلة وجود كُتُبٍ استنبطت أخبارًا وأقوالاً عن يسوع، هي من نسج الخيال، ولو كان لها ظاهر الحقيقة التاريخيّة، وهي بالتالي بعيدة كلّ البعد عن الواقع التاريخيّ ودقّته حتّى نسبيًّا. وكما بالأمس كذلك اليوم، شجبت الكنيسة إنجيل يهوذا، معتبرةً إيّاه أحد نتاجات الغنوصيّة، وصنّفته في مصاف الكتب المرذولة، كما فعلت بالنسبة إلى كتب أخرى مماثلة ومعروفة. هذا ما يمكننا أن نتبيّنه من مواقف بعض آباء الكنيسة التالية أسماؤهم:

٣/١ – إيريناوس

شجب **إيريناوس**، أسقف ليون، في القرن الثاني، وبالتحديد ما بين السنتَين ١٣٠ و٢٠٨، الطابع الهرطوقيَّ لهذا الإنجيل، في مؤلَّفه **ضدّ الهرطقات** [٦]، حيث يقول: «إنّهم يعلنون أنّ يهوذا الخائن كان على اطّلاع على هذه الأمور، وأنّه وحده كان يعرف الحقيقة كما لا أحد، لذلك أتمّ سرّ الخيانة، لأنّه كان يعرف الحقيقة التي كان غيره يجهلها. لقد استنبطوا قصّةً خياليّةً من هذا النوع، دعوها إنجيل يهوذا». فإذا كان إيريناوس يشجب الطابع الهرطوقيّ لهذا الإنجيل، فلأنّه يستلهم الغنوصيّة، وهو بالتالي **إنجيل غير قانونيّ لا تعترف به الكنيسة وتعتبره هرطوقيًا**.

٣/٢ – أبّيفانوس

يؤكّد **أبّيفانوس**، أسقف سلامينا، ما بين العامَين ٣١٥ و٤٠٣ تقريبًا، أنّ هذا «الإنجيل» هو جزء من كتب شيعة القايينيّين الغنوصيّة [٧]. كان هؤلاء يكنّون ليسوع إكرامًا خاصًّا، وكانوا يمدحونه باعتباره رجلاً هو موضوع إعجاب: إنّه الأعظم بين أبناء قايين. قام أبّيفانوس بردّة فعلٍ في وجه الدفاع الذي يتضمّنه إنجيلُ يهوذا لصالح هذا الأخير، مستندًا بذلك إلى نصّ الأناجيل القانونيّة، المبنيّة على قراءة نبويّة للعهد القديم؛ فبعض الغنوصيّين كانت لديهم قاعدة للتفسير تقضي بفصل العهد الجديد عن جذوره اليهوديّة. هذا هو الحال بالنسبة إلى إنجيل يهوذا؛ فتبرير يهوذا هم يشوّهون كلّ ما كان المسيحيّون قد فهموه من مأساة هذا الرسول، انطلاقًا من تأمّلهم في الكتب النبويّة والمزامير. استنادًا إلى هذا كلّه، يصعب قبول فكرة أن يكون لإنجيل يهوذا طابعٌ مسيحيٌّ.

(٦) IRÉNÉE de Lyon, *Adversus Haeresis*.

(٧) ÉPIPHANE de Salamine, *Panarion* 1,31.

٤ – أبعادُ إنجيلِ يهوذا

٤/١ – إنجيلٌ يبرّىء يهوذا

قبل نحو ١٨٢٦ عامًا، أي حوالى سنة ١٨٠، وكما رأينا أعلاه، شنّ القدّيس **إيريناوس**، أسقفُ ليون، الذي كان تلميذًا للقدّيس بوليكاربّوس، والذي كان بدوره تلميذًا للقدّيس يوحنّا، تلميذ المسيح، في كتابه الذي بعنوان **ضدّ الهرطقات**، هجومًا شرسًا على إنجيل يهوذا، الذي هدف إلى رفع تهمة خيانة يسوع وتسليمه إلى رؤساء اليهود عن يهوذا الإسخريوطيّ؛ إنّها أوراقُ المخطوط الستّةُ والعشرونَ نفسُها التي قرأها إيريناوس، فكتب في شأنها ما يلي: «يقولون، أي غنوصيُّو ذاك الزمان، إنّ يهوذا الخائن، بمعرفته وحدَه الحقيقة، قد أتمَّ سرَّ الخيانة. لقد اختلقوا حكايةً خُرافيّةً سَمَّوْها إنجيلَ يهوذا».

هذا ما أثبته اكتشاف **إنجيل يهوذا** في مصر، الذي يخالف نصَّ الأناجيل الأخرى القانونيّة في عدد من الروايات الثابتة، وأبرزها الرواية المتعلّقة بخيانة يهوذا الإسخريوطيّ للمسيح؛ فالإنجيل المكتَشف يزعم أنّ يهوذا لم يخن، بل ضحّى بنفسه وبسمعته من أجل المسيح سيّده، وأنّ يسوع قال له: «أنت ستكون أعظم تلاميذي جميعًا، أنت ستخلّصني من ناسوتي، لأتّحدَ بلاهوتي إلى الأبد». بالتالي فإنّ يهوذا، عندما سلّمَ المسيحَ كان يريد افتداءَ البشريّة بصلبه. وعلى ذلك، فهو الوحيد من تلامذة المسيح الذي فهم المغزى الحقيقيَّ للديانة الجديدة، وكان لديه من الشجاعة ما أهّله لتنفيذ الأمر الإلهيّ. يحاول إنجيل يهوذا أن يثبتَ هذه الرواية بأيّة طريقة، فيبدأ لهذه الغاية بالكلمات التالية: «القصّة السرّيّةُ للبشارة التي اختصَّ بها يسوعُ يهوذا رجلَ كَرْيُوت، قبل عيد الفصح بثلاثة أيّام». وبعد هذه العبارة بعدّة صفحات، يَرِدُ في النصِّ أنَّ جميعَ تلامذة المسيح سيحتقرون يهوذا، لكنّه سيكون أسمى منهم جميعًا». ويتنبّأ يهوذا نفسُه في الصفحات التالية بما سيفعله مع تلاميذ المسيح، فيقول: «حلمتُ أنّني أقف، واثنا عشرَ تلميذًا يرجمونني ويعذّبونني».

نستنتج من هذه الاستشهادات المقتضبة والسريعة أنّهم قد حرّفوا المعنى، بحيث بدا أنّ يهوذا قد أسلم يسوعَ عن تقوى، ولأجلِ رسالةٍ محدّدة، وبأمرٍ من المسيح بالذات.

٤/٢ – مصير يهوذا بعد اكتشاف المخطوط

بعد انتشار خبر إنجيل يهوذا، كانت هناك **تساؤلات**، هي التالية:

– هل كان مصير يهوذا مقرَّرًا وضروريًّا للخلاص بنوع خاصّ؟

– ألم يأتِ المسيح، استنادًا إلى التقليد المسيحيّ، ليخلّص الجميعَ، ومن بينهم يهوذا أيضًا؟

– كيف يمكن، عندئذ، تبرير قولٍ كذلك الذي في الإنجيل بحسب يوحنّا، حيث يُعلن يسوع: «لمّا كنت معهم، كنت أحفظهم باسمك الذي وهبتَه لي فحفظتهم. سهرتُ عليهم، فلم يهلك منهم سوى ابن الهلاك، ليتمّ الكتاب» (يو ١٧: ١٢)؟

الأجوبة على هذه الأسئلة هي ذات مدى لاهوتيّ، نسوقها بدايةً بشكل أسئلة:

– إذا كان تصميم الله يقضي بموت ابنه لخلاص الناس، فأيّة مسؤوليّة تقع على يهوذا الذي كان أداة التنفيذ؟

– هل يمكن ألاّ يكون صحيحًا أن يُعلن يسوعُ أن «لا أحد (من الرسل) يهلك، إلا ابن الهلاك، ليتمّ الكتاب»؟

– كما يُطرَحُ أيضًا التساؤل التالي: هل خُلّصِ يهوذا في النهاية أم إنّه دينَ، خاصّة وأن متّى قد أدخل مسألَتَي الندامة والتوبة في شأنه (مت ٢٧ : ٣)؟

لنحاول أن نجيب على ما طرحناه من تساؤلات:

– بالنسبة إلى **السؤال الأوّل**، هناك، من جهة أولى، **حرّيّة الله** الفعّالة والقادرة التي تعمل في العالم وفي التاريخ؛ هناك، من ناحية ثانية، **حرّيّة الناس في خياراتهم** التي يؤكّدها الكتاب المقدّس. الإنجيليّ يوحنّا الذي يُدخل مُخطّط يهوذا للخيانة

في الجليل، هو مقتنع أنّ يهوذا كان تحت سلطة الشيطان، وأنّ هذا الرسول قام بخيار واعٍ تجاه الشرّ (يو ٦: ٦٠–٧٠). سيُكرّر أيضًا ذلك، وقت العَشاء الأخير: «بينما كانوا يتعشّون، كان الشيطان قد دخل في قلب يهوذا الإسخريوطيّ لكي يُسلم يسوع... بعد تلك اللقمة (التي تناولها من يد يسوع) دخل الشيطان في يهوذا» (يو ١٣: ٢–٢٧). إنّ يوحنّا مقتنع أيضًا أنّ السبب الذي جعل يهوذا يقع في تجربة الخيانة كان الجشع (رج يو ١٢: ٤–٦؛ مت ٢٦: ١٤–١٦)، الذي يمكن تفسيره ببُعد سياسيّ يرتكز على أوهام مسيحانيّة أرضيّة لدى الإسخريوطيّ.

– العنصر الثاني، ألا وهو **التصميم الإلهيّ**، الذي يُعَبَّر عنه بعبارة «كي يتمّ الكتاب». من أجل أن نفهم تمامًا قيمة هذا الإعلان يجب أن نتذكّر أنّه، في الكتاب المقدّس، يُعتبر الله غالبًا أنّه في أصل الشرّ أيضًا: «أنا مبدع النور وخالق الظلمات، صانع الهناء وخالق الشقاء» (أش ٤٥: ٧)؛ يعود هذا إلى أنّ هناك إرادة في منع أيّ شيء من أن يُفلت من القدرة الإلهيّة الفائقة... المقصود إذًا هو تعبير يهدف إلى تعظيم القناعة بأنّ الحرّيّة البشريّة أيضًا، حتّى مع جنونها، لا تُفلت من تصميم الله العامّ.

– على ضوء هذا إذًا، يمكن الحرّيّتان أن تتلاقيَا: **حرّيّة يهوذا** التي تختار الخيانة عن وعي ومسؤوليّة، وبالتالي الانتماء إلى الشيطان، و**حرّيّة الله** التي تضمّن هذا العمل البشريّ الشنيع في تصميمه الخلاصيّ الفعّال. تظهر فعاليّة هذا العمل الإلهيّ حصرًا في عبارة «كي يتمّ الكتاب»، للدلالة على أنّ الله لا يؤخَذ بخيانة يهوذا، وأنّ تصميمه الخلاصيّ سيتحقّق بموت المسيح.

– حلّ المسألة الثانية هو أكثر سهولة. إنّ سرّ الأوقات الأخيرة عند يهوذا يعرفه الله فقط. لا نعلم إذا كان قد توجّه في ذاك الوقت المأساويّ نحو الله أم أنّه رفض ذلك. هناك رواية تقول إنّ القدّيسة كاترينا الصوفيّة (من جنوى، القرن الخامس عشر)، عرفت في رؤيا من المسيح أنّ يهوذا قد خَلُص. الخوري بريمو ماتزولاري، في إحدى عظاته الشهيرة، اعتبر أنّ يهوذا هو «المفضّل لدى يسوع»، بالرغم من الخيانة، وبالتحديد بسبب شريعة المحبّة تجاه العدوّ التي علّمها يسوع المسيح بالذات.

– إذا كان الشرّ الذي عصف في يهوذا قد حصل، فإنّ هناك أيضًا وبالمقابل المأساة والندم اللذان يوردهما متّى الإنجيليّ؛ لذلك **يبقى أمر يهوذا موكولاً فقط إلى سرّ ضميره وإلى حكم الله الذي «يفحص الكلى والقلوب»**.

٣/٤ – بعض مخاطر إنجيل يهوذا

لهذا الإنجيل مخاطر عدّة تطالُ القارئَ إذا ما قَبِلَهُ، إذ يعتنقُ بذات الفعل الفكرَ الغنوصيَّ المناهضَ للمسيحيّة أساسًا، من خلال رفضه لكلِّ ما هو مادّيّ، ولتجسّد المسيح بالذات، ولمبدأ أنّ البشارة هي للجميع وليس للعارفين وحدهم، ومن خلال تأكيده أنّ نخبةً قليلةً فقط تنجو، أي على عكس ما تؤكّده الأناجيل الأربعة القانونيّة بأنّ الخلاصَ هو للجميع، وأنّه يتحقّق بالمسيح يسوع، كما أيضًا على عكس مشيئة الله الذي يريد أن يعمّ الخلاصُ كلَ الناس.

٤/٤ – هل من أهمّيّة لاهوتيّة لإنجيل يهوذا؟

إنجيل يهوذا قطعة أدبيّة تتضمّن روايةً قديمة، مبنيّة على أساس الفكر الغنوصيّ الذي نبذته الكنيسة، والذي هو من نَسْج الخيال، وُضِعَ بهدف إيصال فكرة ليس إلاّ، وإنْ كان أبطالُها معروفينَ تاريخيًّا! بالتالي، لن يفيد هذا الإنجيلُ العقيدةَ المسيحيّةَ بشيء، لا بل على العكس، هو واحد من موجات الخروج المتكرّر على حقائق المسيحيّة تاريخيًّا وعقائديًّا، لكنّه لن يقوى عليها لأنّ أبناءَها هم أبناءُ الله، وليسوا تُبّاعَ مذاهبَ صُنِعَت هنا أو هناك.

لقد هلّل العديدُ من مناوئيّ الإنجيل المقدّس، بُعَيدَ اكتشاف إنجيل يهوذا، إذ توهّموا أنّ المسيحيّةَ ستتعرّض لزلزالٍ لم يسبق له مثيل، سيقلب رأسًا على عقب ما تقوم عليه، غافلين عن أنّها ترتكز أساسًا على شخص المسيح يسوعَ بالذات، وتستقي معرفتَها وحيويّتَها منه هو ومِن البشرى السارّة التي كانَها هو، والتي دوَّنَها الإنجيليّون الأربعة.

٥ – صدى اكتشاف إنجيل يهوذا

يظنّ البعض أنّ اكتشاف إنجيل يهوذا هو «بشرى سارّة» للأخصّائيّين الذين كانوا يظنّون أنّه اختفى نهائيًّا. بالطبع، لا ينكر أحد أنّه ستكون لإنجيل يهوذا أصداءٌ متفاوتة ومتعارضة، كما حصل منذ اكتشافه وحتّى الساعة، وهذا ما توفّر لدينا عنها حتّى الآن:

٥/١ – البابا بندكتوس السادس عشر يشجب إنجيل يهوذا (٨)

أثناء احتفال البابا بندكتوس السادس عشر بقدّاس خميس الأسرار، في ١٣ نيسان ٢٠٠٦، ندّد بإنجيل يهوذا، مشدِّدًا على أن لا إعادة اعتبار للرسول الخائن، الذي لعب لعبة مزدوجة، هو الكاذب والمتعجرف. لقد أراد البابا أن يمحو التفسير الجديد غير الصحيح لشخص يهوذا ودوره، وكان واضحًا في ما أكّده حول هذا الرسول، إذ قال: «يبيّن دور يهوذا أنّه يوجد في العالم سرٌّ قاتمٌ لرفض الإنسان لمحبّة الله». إنّ محبّة الربّ لا تعرف حدودًا، لكنّ الإنسان قادر على أن يضع لها حدًّا. وإذ ذكّر البابا بكلمات يسوع لتلاميذه خلال العشاء الأخير، «أنتم أنقياء، ولكن ليس كلّكم»، أضاف قائلاً: «ماذا يجعل الإنسان غيرَ نقيّ؟ إنّه رفض المحبّة، وعدم رغبة الإنسان في أن يُحَبّ، وعدم المحبّة. إنّه التعجرف الذي لا يريد أن يُقرّ ويعترف بأنّنا بحاجة إلى التطهّر. في يهوذا نرى طبيعة هذا الرفض بطريقة أكثر وضوحًا كما يلي:

هو يُقيّم يسوع وفق مبدأَي السلطة والنجاح: بالنسبة إلى يهوذا وحدهما السلطة والنجاح هما حقيقة، أمّا المحبّة فلا اعتبار لها.

هو جَشِعٌ: بالنسبة إليه المال هو أهمّ من الشركة مع المسيح، أهمّ من الله ومن محبّته.

هو كذّابٌ: يلعب دورًا مزدوجًا وينسلخ عن الحقيقة؛ يعيش في الكذب ويفقد هكذا الحسّ تجاه الحقيقة السُميا.

هو متصلّب، ويُصبح بالتالي عاجزًا عن التوبة، عن العودة الواثقة كعودة الابن الضال».

٥/٢ – البطريرك ألكسي الثاني يندّد بإنجيل يهوذا (٩)

ندّد البطريرك ألكسي الثاني، بطريرك موسكو وسائر روسيا، بإنجيل يهوذا، فقال: «يجب ألاّ يؤدّي بكم هذا الإنجيل إلى الضلال. نحن نعتبر هذه الاكتشافات المتأخّرة كشهادات على المعتقدات المنحرفة التي كانت منتشرة في القرنَين الثاني والثالث». وأضاف: «كانت هرطقة الغنوصيّة منتشرة في القرنَين الثاني والثالث ب. م.، وإليها ينتمي **إنجيل يهوذا، الذي يساوي بين الفضيلة والرذيلة**». واعتبر البطريرك ألكسي **هذا الإنجيل مناهضًا للإيمان** فقال: «لقد عرف تاريخ المسيحيّة أكثر من محاولة لذرّ الشكّ في النفوس».

٥/٣ – في الغرب

كتب تِرّي غارسْيَا (Terry Garcia)، أحد مسؤوليّ المجلة الأميركيّة **ناشيونال جيوغرافيك** ما يلي: «يعتبر بعض الخبراءُ اكتشافَ هذا النصِّ القديم، غيرِ البيبليّ، كأحد أهمِّ النصوص التي اكتُشفَت خلال الستّين سنةً الأخيرة، إذ يوسّع معرفتَنا للتاريخ ولمختلف الآراء اللاهوتيّة في بداية العصر المسيحيّ». نعم، لقد عادت النسخة الوحيدة عن هذا الإنجيل لتظهر، وتكشف عن العلاقات بين يسوع ويهوذا من منظار آخر يُبرز هذا الأخيرَ مختلفًا عن ذاك الذي باع يسوعَ إلى السلطات اليهوديّة فالرومان.

نحن هكذا أمام نصّ يقدّم تفسيرًا مختلفًا لخيانة يهوذا ليسوع. يعتقد البعض بأنّه، لولا يهوذا، لما كان هناك صَلْبٌ، وبالتالي لا افتداء من الخطايا ولا قيامة. فهل انتهى أمر صورة

(٨) BENOIT XVI condamne l’évangile selon Judas : http://www.cyberpresse.ca/article/20060416/CPACTUALITES/604160405/5782/CPACTUEL

(٩) ALEXIS II (le patriarche russe) dénonce une hérésie : « L’Évangile selon Judas »: http://fr.rian.ru/society/20060417/46501297.html

الخائن والثلاثين من الفضّة مكافأة له على ذلك؟ هل ستصبح كلمة «يهوذا» قريبًا معادلة لـ«صديق وفيّ»؟

لكن تبقى دون حلّ مسألة، ألا وهي أن نعرف ما كانت المجازاة على اشتراكه في هذا العمل الجوهريّ !

– تعتقد إيلان باجلز (Elaine Pagels)، أستاذة مادّة الديانات في جامعة بْرِنْستون وإحدى الأخصّائيّات العالميّات في الأناجيل الغنوصيّة، «أنّ الاكتشاف المثير لإنجيل يهوذا، كما أيضًا لـ**أناجيل مريم المجدليّة، وتوما**، وغيرهما أيضًا، تمّ اكتشافها حديثًا، بعد ألفي سنة تقريبًا، سيقلب فهمنا لفجر المسيحيّة». وتضيف باجلز: «ستنسف هذه الاكتشافات أسطورة ديانة مونوليثيّة، مبيِّنةً كم كانت المسيحيّة الأولى حقيقة متنوّعة وباهرة في بداياتها».

– يقول مارفن ماير (Marvin Meyer)، من جامعة تْشاپْمان (Chapman): «إنّ اكتشاف إنجيل جديد مخطوط هو أمرٌ نادر جدًّا، خاصّةً إذا كان المقصود هو نصّ تذكره المصادر المسيحيّة الأولى».

– يُشدّد إيفنس (Evans) على أنّ إنجيل يهوذا هو «شهادة هامّة على تنوّع آراء المسيحيّين الأوائل في يسوع وفي تلاميذه، وقد ينجح في إفهامنا بطريقة أفضل معنى أمورٍ تَرِدُ فقط في العهد الجديد».

٤/٥ – أثر اكتشاف إنجيل يهوذا على العلاقات المسيحيّة–اليهوديّة

أبدت الصحافة «الإسرائيليّة» اهتمامًا بالغًا بقصّة الإنجيل الجديد المكتشف حديثًا، والذي اشتهر في الأوساط الأكاديميّة باسم «إنجيل يهوذا الإسخريوطيّ»؛ فلقد عبّرت جريدةُ «معاريف» الإسرائيليّة عن سعادة غامرة بهذا الاكتشاف الذي تتوقّع أن تتمّ بفضله «تبرئة يهوذا» من دم المسيح، كما سبق وبرّأ المجمع الفاتيكانيّ الثاني اليهودَ المعاصرين للمسيح من دمه. لكن مَن يمكنه أن ينسى أنّ رؤساءَ الكهنة اليهود قد قالوا علنًا لبيلاطوس، الحاكم الرومانيّ أنذاك: «دمُه علينا وعلى أبنائنا» ؟

لا يتوقّع البروفسور مارفين ماير، أستاذ مادّة المسيحيّة والكتاب المقدّس في جامعة تشابمان في كاليفورنيا، وأحد محقِّقيّ المخطوطة، نقاشًا دينيًّا لتعاليم المسيحيّة وحسب، بل ويشير إلى مراجعة سياسيّة أيضًا. ويشير مارفين بالخصوص إلى العلاقات المسيحيّة–اليهوديّة التي تأثّرت على مدى التاريخ بصورة يهوذا «اليهوديّ الخائن الشرّير»، وكيف أنّها كانت أساسًا لمعاداة الساميّة. ويقول: «لا شكّ أنّ ما ورد في إنجيل يهوذا سوف يقدّم لنا فرصة للتأمّل من جديد في العلاقة اليهوديّة–المسيحيّة. إنّ شخصيّة يهوذا غالبًا ما صُوِّرَت على أنّه اليهوديّ الشرّير الذي أسلم المسيح لكي يُعتَقل ويُقتَل، لكنّ يهوذا في إنجيل يهوذا ربّما يستطيع الردّ على هذا التوجّه المعادي للساميّة».

خاتمة

الإنجيل بُشرى وليس مذهبًا فكريًّا. إنجيل يهوذا رواية ملأى بالمغالطات التاريخيّة العديدة، تتماهى مع بعض الأناجيل المنحولة؛ فإذا كان الإنجيل بُشرى أساسًا، أي إذا كان الإنجيلُ هو المسيح، فهو ليس بالتالي أفكارًا، بل شخصٌ حقيقيّ وتاريخيّ، هو المسيح يسوع. نحن لا نخاف من الأناجيل المنحولة، لا بل على العكس نحن نحاضر حولها، وننشر نصوصها، ونُجري الأبحاث حولها، لأنّنا نرى فيها أدبًا مسيحيًّا قديمًا جدًّا وثمينًا.

إنّ الارتباط بالمسيح هو علاقة شخصيّة وثيقة به، وليس ارتباطًا بفكره وحسب. لذلك نقول بأنّ الإنجيل واحدٌ ليس إلاّه، يتكوّن من صُوَرٍ أربعَ متكاملة عن المسيح، هي الأناجيل الأربعة، تهدف كلُّها إلى أنْ تعرّفَني به. أمّا إنجيل يهوذا فلا يعرّفني بالمسيح ابنِ الله الذي تجسّد وتألّم ومات وقام، بل بيهوذا كممثّلٍ لتيّارٍ مذهبيٍّ فكريٍّ يحرم من الخلاص الكثيرين، في حين أنّ يسوع جاء ليكون الخلاص، ليس لنخبة منتقاة، بل لكثيرين!

مراجع

بولس الفغالي، «الغنوصيّة والغنوصيّة المسيحيّة»، في: **الحركة الغنوصيّة في أفكارها ووثائقها**، على هامش الكتاب ١٥، الرابطة الكتابيّة ٢٠٠٩، ص ٩–٤٥.

ـــــ، «الغنوصيّة والكتاب المقدّس»، في: **الحركة الغنوصيّة في أفكارها ووثائقها**، على هامش الكتاب ١٥، الرابطة الكتابيّة ٢٠٠٩، ص ٤٥–٥١.

ـــــ، «القينيّون»، **الحركة الغنوصيّة في أفكارها ووثائقها**، على هامش الكتاب ١٥، الرابطة الكتابيّة ٢٠٠٩، ص ٢٩–٣٢.

Découverte d'un manuscrit troublant :

http://www.radio-canada.ca/nouvelles/societe/2006/04/07/002-judas-manuscrit.shtml

Évangile (*L'*) *de Judas*, traduction intégrale et commentaires des professeurs R. KASSER, M. MEYER, G. WÜRST, avec la collaboration de F. GAUDARD. Traduction française par D. BISMUTH, Paris, Flammarion, 2006, 224 p.

Évangile (*L'*) *de Judas* - Bible Service : http://www.bible-service.net/site/681.html

Figaro (*Le*), 07 avril 2006 (Rubrique Sciences et Médecine).

Gazzetta (*La*) *del Mezzogiorno*, 15/4/2006.

GOUNELLE Rémi, « L'Évangile de Judas enfin publié »,*Cahiers Évangile* n° 137, SBEV, Cerf, septembre 2006, p. 127-128.

HEDRICK Charles W., « The 34 Gospels: Diversity and Division Among the Earliest Christians », *Bible Review.*

KIRBY Peter, « Gospel of Judas », *Early Christian Writings*, 2006, 15 April 2006.

LAURANT Sophie, « Mise au jour d'un *Évangile de Judas* » :

http://www.la-croix.com/article/index.jsp?docId=2264425&rubId=1098

LEROY Marc (École biblique de Jérusalem),

L’évangile de Judas révèle surtout la pensée gnostique » : http://www.inxl6.org/article2934.php

OHLOTT Paul, *L’Évangile de Judas. La nouvelle polémique autour de la Bible !*

____, *L’Évangile de Judas, une bonne nouvelle ?*

Un mystérieux évangile pour réhabiliter le traître :

http://www.lefigaro.fr/sciences/20060407.WWW000000470_un_mysterieux_evangile_pour_rehabiliter_judas.html

SCHNEEMELCHER Wilhelm (ed.), translation by R. McL. WILSON, *New Testament Apocrypha: Gospels and Related Writings* (Louisville: John Knox Press, 1992), pp. 386-387.

www.corriere.it/Primo_Piano/Cronahce/2006/04_Aprile/06/giuda.shtml

www.earlychristianwritings.com/gospeljudas.html.

www.lagazzettadelmezzogiorno.it

www.xoomer.virgilio.it

www.zenit.va , 13 aprile 2006.

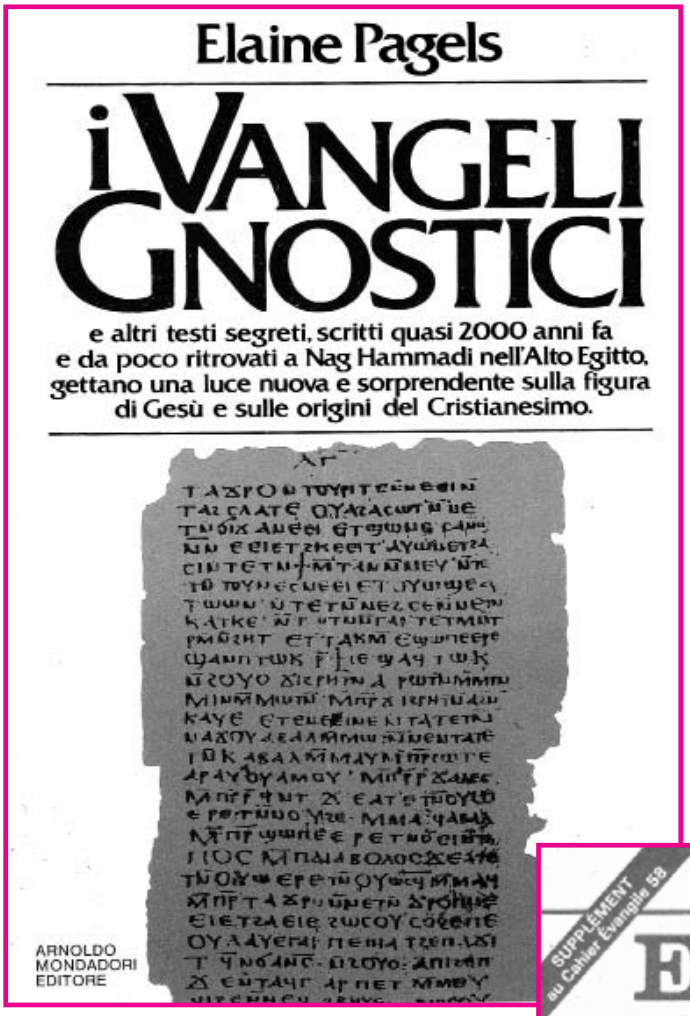
Elaine Pagels
I VANGELI GNOSTICI
e altri testi segreti, scritti quasi 2000 anni fa
e da poco ritrovati a Nag Hammadi nell'Alto Egitto,
gettano una luce nuova e sorprendente sulla figura
di Gesù e sulle origini del Cristianesimo.
ARNOLDO
MONDADORI
EDITORE

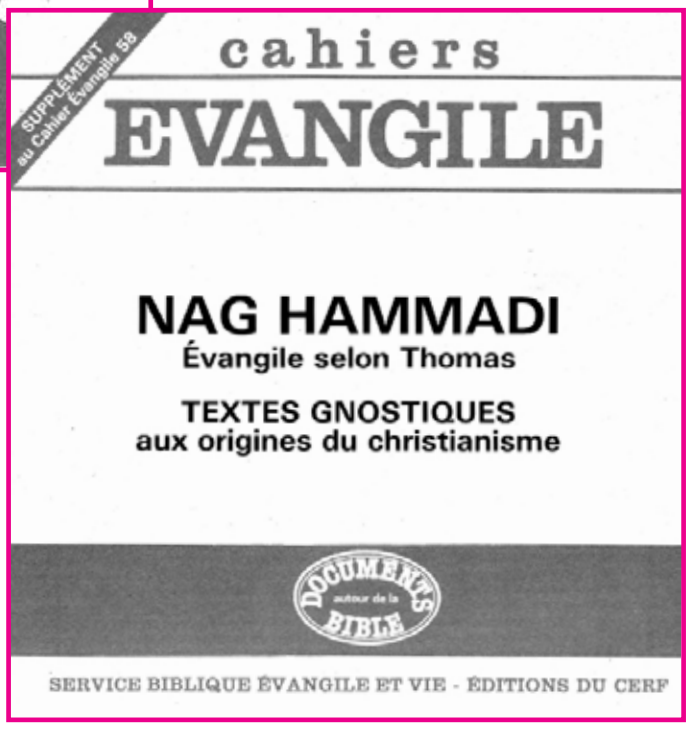
SUPPLÉMENT
au Cahier Évangile 58
cahiers
EVANGILE
NAG HAMMADI
Évangile selon Thomas
TEXTES GNOSTIQUES
aux origines du christianisme
DOCUMENTS
autour de la
BIBLE
SERVICE BIBLIQUE ÉVANGILE ET VIE - ÉDITIONS DU CERF